ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Nasreen Falih Hassan

University of Wasit / College of Administration and Economics

Email: nfalih@uowasit.edu.iq

Keywords:

Iran, Turkey, Syria, Iraq, projects of expansion and hegemony

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 25. Apr.2021

Accepted 24. May.2021

Published 25. May.2026

The Boundaries of Competition and Expansion Between Turkey and Iran in the Wake of Post-COVID-19 Shifts

A B S T R A C T

Both the countries of the center and the parties sought to employ the shock that drew the world in light of the Corona pandemic and the economic crisis that accompanied it. In order to create new paths and propose solutions to their crises, far from the West.

In the forefront of them were Turkey and Iran, which is striving to a great extent to assume a great position, whether on the regional or global level, based on the historical legacies of both empires. The Middle East region is an area of interest for both countries due to its geostrategic and economic importance. Therefore, we see that both countries endeavor to build pillars to expand their vital area, politically and economically, Due to their extension affecting the reactions of the region. The strategic decision-makers in the two countries also realize that neither of them can go backwards, as the situation in the Middle East is not stable and there is a multiple struggle in it, external between the major powers to establish their positions and roles, and internal is the struggle of regional powers to lead the region. This gives the two countries the opportunity to enter the arena of engagement in the region with the aim of achieving geostrategic goals.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol63.Iss2.2127

حدود التنافس والتمدد بين تركيا وإيران في ظل تحولات ما بعد كورونا

م.د. نسرين فالح حسن
كلية الادارة والاقتصاد

الملخص:

سعت كل من دول المركز والاطراف لتوظيف الصدمة التي لفت العالم في ظل جائحة كورونا والازمة الاقتصادية التي صاحبتها. لكي تشتق مسارات جديدة وتجترح حلولا لأزماتها، بعيداً عن الغرب.

وكانت في مقدمتهما تركيا وإيران التي تسعى بشكل كبير لتبوء مكانة كبيرة سواء على المستوى الاقليمي ام على مستوى العالم، بالاستناد الى المواريث التاريخية لكلا الامبراطوريتين. وتعد منطقة الشرق الأوسط منطقة اهتمام لكلا الدولتين نظراً لأهميتها الجيوستراتيجية والاقتصادية. لذا نرى سعي كلا البلدين الى بناء ركائز لتوسعة مجالها الحيوي، سياسياً واقتصادياً، نظراً لامتدادهما المؤثرة في تفاعلات المنطقة . كما يدرك صناع القرار الاستراتيجي في الدولتين، إن أي منهما لا يمكن أن يعود إلى الخلف، فأوضاع الشرق الأوسط لا تتسم بالاستقرار وهناك صراع متعدد فيها، خارجي بين القوى الكبرى لتثبيت مواقعها وأدوارها، وداخلي يتمثل بصراع القوى الإقليمية لقيادة المنطقة . وهو ما يعطي الفرصة للبلدين للدخول إلى ساحة الاشتباك في المنطقة بهدف تحقيق الأهداف الجيو استراتيجية.

الكلمات المفتاحية: ايران، تركيا، سوريا، العراق، مشروعات التمدد والهيمنة

المقدمة

لم يفتر عضد الدولتين (تركيا وإيران) يوماً بإزاء سعيهما الحثيث لتبوء مكانة كبيرة، سواء على مستوى الإقليم أم العالم، وكلاهما يستدعي المواريث التاريخية للإمبراطوريتين الفارسية والتركية، في تمددها وتوسعها ومجالها الحيوي، ومما لا شك فيه أن بواكير القرن الحادي والعشرين، سجلت لهذين البلدين تزايد اهتمامهما بالتوسع نحو مختلف المناطق وبخاصة الإسلامية منها، إلا أن منطقة الشرق الأوسط ظلت تحظا بأولوية كبرى على ما عداها .لأسباب تتعلق بأهميتها الجيو استراتيجية والجيو اقتصادية، فبينما هي المنطقة التي تستقر فيها أكبر احتياطات الطاقة العالمية، فهي في الوقت نفسه الأسواق الأعظم.

وشكلت حركة الاحتجاج الشعبي أو ما تسمى (الربيع العربي)، نقطة البداية في وضوح أدوارهما في ظل انغماسهما في التحولات التي تجري في الكثير من البلدان.

وبينما كانت هناك ساحات ودول يتجسد الدور التركي فيها بوضوح نتيجة التناغم بين الحزب الحاكم وطبيعة النظام التركي مع حركة الإخوان المسلمين، كما في (مصر وتونس)، نلحظ أن هناك ساحات أخرى لإيران، إلا أنهما يتنافسان حد الصراع الخفي في سوريا وجزئياً في العراق.

ويدرك صناع القرار الاستراتيجي في الدولتين، إن أي منهما لا يمكن أن يعود إلى الخلف، فأوضاع الشرق الأوسط لا تتسم بالاستقرار ولا الوضوح، وهناك صراع متعدد فيها، خارجي بين القوى الكبرى لتثبيت مواقعها وأدوارها، وداخلي يتمثل

بصراع القوى الإقليمية لقيادة المنطقة .وهو ما يعطي الفرصة للبلدين للدخول إلى ساحة الاشتباك في المنطقة بهدف تحقيق الأهداف الجيو استراتيجية.

بالرغم من حالة التنافس القائمة بينهما، فإن سياستهما الخارجية إزاء بعضهم بعض تتسم بالحذر الشديد، ولا يرى أي منهما أن الإطاحة بالنظام الأخر يقع في صلب مصالحهما، لأسباب تتعلق ايضاً بمحاولة (الولايات المتحدة – روسيا – دول أوربية) ، التواجد في المنطقة وضبط تفاعلاتها من خلال السيطرة /الهيمنة عليها.

أولا: المقتربات العامة لعلاقات التنافس بين تركيا وإيران

لقد وفرت فرصة احتلال العراق عام2003 ، والانشغال الأميركي وشبه الغياب للقوى الأخرى (أوربا–روسيا–الصين) ، إلى إنعاش الحلم التركي والإيراني، في الإمساك بالمكانة التي ترى كل منها أنها تستحقها، كوريثين شرعيين لإمبراطوريات امتدت غرباً وشرقاً .وهو ما يشبع تطلعاتهما المعاصرة، ومما زاد من فرص الانغماس في شؤون المنطقة، هو ما تركته التحولات التي جاءت بعد عام2010 ، على خلفية انهيار نظم حكم عربية عدة (مصر وليبيا وتونس واليمن).

ومع التغيرات التي أصابت أوضاع المنطقة وانتقال الفعل الأميركي من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، بدا واضحاً عودة القوى الكبرى إلى المنطقة، مستفيدة من حالة الوهن التي تعرضت لها الولايات المتحدة بعد احتلال العراق وأفغانستان، وهو ما أعاد المنطقة إلى ما يشبه أوضاع الحرب الباردة. فظهر محورين رئيسين للصراع في المنطقة، وهو امتداد طبيعي لحالة التناقض والعداء المستبطن بين منهجين مختلفين وهما:

المحور الأول :الأميركي ويضم إلى جانبها الحليفة رقم (١) إسرائيل مع مجموعة دول أطلق عليها دول الاعتدال (الأردن–مصر–السعودية– الأمارات ... الخ)، والأهم في توجهات هذا المحور، أنه لا يعادي إسرائيل ولا يمانع في التطبيع معها ويقف بهذه الدرجة أم تلك ضد إيران.

المحور الثاني: الذي تقوده إيران ويتضمن سوريا وحزب الله اللبناني وفصائل المقاومة الإسلامية الفلسطينية (الجهاد وحماس)، وفصائل المقاومة الإسلامية العراقية، وحركة أنصار الله (الحوثيين).

فيما ظلت تركيا قريبة من الولايات المتحدة والى حد ما إسرائيل (بحكم الاتفاقات الاستراتيجية بينهما)، وبعيدة عن مصر والسعودية والأمارات، وهي تلتقي مع الولايات المتحدة في عضوية حلف الناتو(عمرو سليم، العلاقات التركية الإيرانية من تحالف مصالح الى صراع إقليمي)، فضلا عن دورها في الحرب الباردة والان بالقرب من روسيا، إلا أنها تحاول أن تقود محور خاص بها لا يعادي المحور الأميركي ولكنها تريد أن يكون لها دور ومكانة ومصالح في المنطقة، وأن تكون جزء من أي ترتيبات تتخذ فيها.

ومما يدلل بوضوح عن الاستراتيجية التركية، هو عدم اكتفاءها بمحاولة التأثير في أوضاع المشرق العربي، بل ذهبت إلى شمال أفريقيا، لترتيب أوراقها الجيو استراتيجية، فقد نسجت الكثير مع حركة النهضة التونسية(الإخوانية) فيما رمت بثقلها وبمساندة الجماعات الإرهابية(الشيشان– القوقاز –الازبك – التركمستانيين..الخ) في ليبيا، لضمان المنطقة الغربية من ليبيا، وهو ما يجعلها نقطة انطلاق للتأثير التركي.

إن التطلع التركي يأتي في سياق التأسيس لدور تركي واسع، من خلال إعادة تشكيل البيئة الإقليمية وإزالة الكوابح والمعوقات التي تعترض هذا الدور، مما يحول المنطقة برمتها من بيئة كابحة أو منافسة (بسبب الدور الإيراني أو السعودي) للتطلع التركي إلى بيئة داعمة ومساندة . والرؤية التي تحكم قادة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا وبخاصة كاريزمية (اردوغان) كحفيد للسلطنة العثمانية، إن منطقة الشرق الأوسط تفتقر لنموذج نظام إقليمي فاعل، من شأنه خفض مستوى التنافر ما بين القوى الإقليمية ويحافظ على الأمن والاستقرار فيها، لصالح تثوير جهود التنمية والتكامل، وبسبب من انغلاق فرص قبولها في الاتحاد الأوربي، فأن المنطقة هي بوابتها، ومجالها الحيوي لتوسيع رقعة تأثيرها، لكي تقود العالم الإسلامي أو على الأقل(السني منه) كبديل مناسب للقيادة السعودية التي تعاديها(Kaya Akyıldız, 2022, p. 277)

بيد أن هذا التصور لم يجد مساحة له وينتعش إلا في ظل صعود حركة الإخوان المسلمين في مصر وتونس، وقيادتها للمظاهرات التي اشعلت الأزمة السورية، هذه حفزت المشروع التركي في أن تكون مرجعية دينية(سنية) بديلا عن الأزهر المصري والحرم المكي السعودي، وهكذا باشرت تركيا استثمارها في أنموذج حزب العدالة والتنمية(الإسلامي الليبرالي) ونجاحاته الاقتصادية، وتقديم نفسها كدولة موازنة للمشروع الإيراني، وهي لا تقف بالمطلق تجاه إسرائيل نظراً لسعة التفاهمات والاتفاقات بينهما، إلا أنها وظفت حركة حماس(الإخوانية) في الدفاع عن القدس والفلسطينيين.

إن المشروع التركي المتطلع إلى بعث (العثمنة الجديدة)، يلبي تطلعات وكاريزما الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي يرى بنفسه زعيماً إسلاميا مطالب بإعادة عظمة ومجد تركيا العثمانية تاريخياً وجيو سياسياً، وأن تكون تركيا عامل التوازن بين الشرق والغرب، وبديل من شأنه ضمان المصالح المشتركة بشرط أن تكون في ظل القيادة التركية، مستفيداً من مقبولية البيئة العربية الإسلامية (في إطارها المذهبي)، مقارنة بالمشروع الإيراني (M. Hakan Yavuz, 2020.P145)

وافادة أطروحة الدكتوراه لرئيس وزرائه السابق (حمد داؤود أوغلو) العمق الاستراتيجي، في صوغ الاستراتيجية التركية بإشارته إلى أن بيئة الشرق الأوسط هي بيئة قابلة للتنافس، لكونها كانت ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية وتحت سلطة الباب الأعظم، بدلا من اللهاث وراء سراب الانضمام إلى الاتحاد الأوربي، وحتى في معيار التكاليف فأن التوجه نحو الدول العربية، هو منخفض التكاليف، ولا يستلزم انفاقاً كبيراً.

ولما كانت طموحات تركيا تمتد من تركمستان الشرقية على الحدود الصينية إلى عمق المغرب العربي، فمن الطبيعي أن تجد هناك استراتيجيات لدول أخرى، تتحول في الإطار نفسه لمد مجالها الحيوي وتوسيع دائرة تأثيرها، وهذا ما وجدته تركيا في الطموحات الإيرانية التي تنافسها في أي اتجاه تذهب .

وإيران هي الأخرى تتمتع بمزيات استراتيجية وتأثيرية على التفاعلات والتحولات في المنطقة، فبحسب(بريجينسكي) مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق، وفي كتابه(رقعة الشطرنج الكبرى)عام1997 ، إن القيمة الجيوسياسية لإيران، تعطي لها إمكانية توظيف دورها في ضبط التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط، وعليه فأن التعارض الجيوسياسي وحالة المنافسة الإقليمية بين تركيا وإيران، جعلت تركيا تدلف باتجاه التوظيف الديني، مستفيدة من واقع جغرافيا الصراع، لتحقيق المكانة والطموحات الجيوسياسية (Zbigniew Brzezinski, 1997, pp. 123–127)

لقد روجت الأوساط الأميركية والعربية(ملك الأردن) من منظور مذهبي، إلى أن هناك محاولات إيرانية تعتمد التحرك الجيو استراتيجي لفرض جيوبولتيك شيعي، يمتد من بيروت إلى طهران، والذي ظهرت علائم وجوده في الدخول الإيراني على خط الأزمة السورية وقبلها في حرب 2006 بين إسرائيل وحزب الله، والتي أعطت زخماً كبيراً للوجود الإيراني على خلفية فشل إسرائيل في تحقيق أي نصر لها، برغم الدعم الأميركي– السعودي–الإماراتي، ولم يجرِ الحديث مطلقاً عن

القوس الاخواني الممتد من تركيا حتى تونس، وهذا ما أعطى زخماً للتحركات التركية، ومؤشراً بأن مديات التنافس ربما تتجاوز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وصولا إلى التجميع للإسلاميين المتطرفين(الجهاديين)، وما يمكن لمسه بوضوح أن تركياً أصبحت منطقة تجهيز كبرى للإرهابيين الوافدين لها من كل العالم، ومحطة لتوزيعهم إلى مناطق القتال المختلفة، بجانب تمويلهم وطبابتهم وخدماتهم اللوجستية، وهذا تعرفه جيداً جميع الدول العربية والدول الأوربية والولايات المتحدة وروسيا والصين.

وطالما تركيا تقوم بذلك لتدعم به التوجه العام للولايات المتحدة وإسرائيل، في أضعاف المنطقة ودولها وجعلها دول رخوة وهشة وفاقدة لجزء من سيطرتها وسيادتها، وتدمير جيوشها الوطنية، لم يتم اتخاذ أي أجراء مضاد لتركيا، حتى مع تجاوزاتها على سيادة العراق وسوريا في المياه الإقليمية بالقرب من قبرص، وتمويل ودعم الإرهاب في ليبيا، إن جميع الدول التي تشكل المحور الأميركي وحلفائه متورطة بشكل لا لبس فيه في الأزمة السورية والإرهاب في العراق عبر تنظيم (داعش).

لقد ترتب على الفوضى التي خلفها الإرهاب والجماعات التكفيرية، والحراك الشعبي الذي رعت جزءاً منه المؤسسات الأميركية المعنية بالمجتمع المدني والديمقراطية و(برنارد لويس)، حدوث اختلالات في البنية الاجتماعية والسياسية للبلدان المستهدفة، وجعلت المنطقة العربية برمتها بيئة تنافس مثالية للقوى المتطلعة لبناء مكانة جديدة (Gamal M. Selim, , 2013, pp. 255–272).

حتى وأن كانت) إخوانية (، والمنفعة الكبرى التي ترنوا إليها هو إزاحة النظم السياسية المخادمة للولايات المتحدة، لا سيما (مصر – مبارك) و) تونس– بن علي) المحسوبان المحور الأميركي.

بيد أن كلا البلدين (تركيا– إيران) يعدان طامحين إلى ملئ فراغ القوة والسلطة، الذي حدث بعد عام2010 ، إلا أن حجم التأثير الإيراني وصعود نفوذها في سوريا والعرق، بفعل المشاركة في مكافحة تهديدات تنظيم داعش، الذي برز للوجود في يونيو2014 ، جعل من تركيا تندفع بقوة للدخول إلى حلبة التنافس الإقليمي مع إيران، لتحسين موقعها وبغية تشكيل نظام إقليمي تؤدي فيه دور القوة المهيمنة (Hamidreza Azizi and Salim Çevik, 2021,P2).

ولعل الأزمة السورية هي المحطة الوحيدة بين الدولتين التي يراد فيها أن تكون المعادلة صفرية، فالمجابهة في الساحة السورية ترقي إلى ظهرت مستوى الصراع بينهما، وبالنسبة لإيران تعد سوريا محطة محورية في خط المقاومة، وهي العمق الاستراتيجي لحزب الله اللبناني ومن دونها، يمكن حصر المقاومة اللبنانية الإسلامية في كانتون الجنوب، وتفقد عندئذ إيران التأثير المباشر على إسرائيل، ففي ظل وجود حزب الله ، هذا يعني وجود إيران على حدود إسرائيل، وبالمقابل أراد محور(أميركا –إسرائيل –السعودية)، نقل داعش إلى حدود إيران من منطقتي(ديالى –والبصرة)، إلا أن دخولها في حرب داعش أفشل هذا المخطط .

أما تركيا فإنها كانت تخطط لوجود فاعل لحركة الإخوان المسلمين السورية، في نظام ما بعد الأسد، وعندئذ يمكن لها أن تمد هذا المحور باتجاه الأردن، ليشكل معبر باتجاه مصر ودول الخليج، وهو محور معاكس لمحور إيران (قوس إخواني) ، فضلا عن عزل الأكراد المتطلعين إلى دولة قومية ممتدة من (شمال إيران –شمال العراق–شمال شرق سوريا)، مما يخفف الوهن التركي من المثلث العراقي التركي الإيراني حتى إدلب السورية، فضلاً عن أنها تعول على مذهبية الشعب السوري، في قبولها مقابل رفض إيران. وبذلك تصبح معادلة التنافس صفرية من وجهة النظر التركي، فهي تريد تصفير كل مصالح الدول الأخرى لصالح تحقيق مصالحها.

بينما يتسم التطلع الإيراني بأكثر واقعية عندما يأخذ بنظر الاعتبار التنوع الاثني والمذهبي، عندما لا يسعى إلى إعادة صوغ المجتمع وتشكيله مذهبياً لصالح تحقيق مصالحها، بل يكتفي بتوافر إرادة سياسية تلتقي معها في أطار خط المقاومة (لأميركا وإسرائيل وحلفائها).

وبالنظر إلى أن كل دولة منهما تؤطرها علاقات مع القوى الدولية الكبرى، روسيا والولايات المتحدة كفاعلين أساسيين في الأزمة السورية، فالعلاقات الروسية –الإيرانية أكثر رسوخاً وثباتاً، نتيجة المصالح الواسعة بينهما وتعرضهما للعقوبات الاقتصادية والعداء الأميركي.

وبينما لا يمكن لروسيا التضحية بإيران فأن الولايات المتحدة لن تضحي بتركيا. لذلك فأن طبيعة التنافس الدولي المتصاعد بين الولايات المتحدة وروسيا، ينعكس بقوة على تسريع التنافس الإقليمي بين تركيا وإيران، ففي الوقت الذي حسمت فيه إيران خياراتها الاستراتيجية بالتوجه نحو روسيا، وذلك بسبب التعقيد الكبير الذي يؤطر علاقاتها مع الولايات المتحدة وعدم ثقتها بها، فيما نلحظ أن تركيا تحاول الإبقاء على علاقات بمستوى معين لا يضر بمصالحها مع كلا الطرفين، مع أنها قد وثقت من وقوف الولايات المتحدة وراء انقلاب ٢٠١٦،

(2016 Congressional Research Service, 2019, P1-2).

ومن المفارقات إن الدولتين يتنافسان في دول ويتعاونان في أخرى، في ضوء مصالحهما، فبالرغم من الدور القطري في تمويل الإرهاب في سوريا، ومواقف قطر في الجامعة العربية تجاه سوريا، إلا أن إيران وقفت مع قطر عندما فرضت السعودية وأخواتها الخليجيات الحصار عليها، وكلا البلدين يتشاركان المخاوف من طبيعة الوجود الإسرائيلي في اذربيجان والطابع الأمني والاستخباري له، لا سيما وأن إسرائيل واذربيجان يعدان إيران عدواً مشتركاً لهما.

. (Firas Elias, 2019. p 1)

وتتفق تركيا مع إيران على كبح جماح التطلع الكردي لإنشاء دولة قومية، ففضلا عن تسببه بانفصال إراضي منهما، فأنه يسجل مقدمة لتفكك لهذين البلدين بسبب الطابع العرقي والمذهبي لمجتمعاتهما.

يختلف المشروع الإيراني عن التركي في طريقة الوصول إلى المكانة الإقليمية، إلا أنهما يشتركان بهدف تأكيد وجودهما كقوتين إقليميتين فاعلتين.

ثانيا :العراق ... نقطة الشروع في المنافسة

شهدت تركيا بعد احتلال العراق عام 2003 تحدياً كردياً، فقد ساند أكراد العراق الاحتلال الأميركي، وسهل له احتلال المحافظات والمناطق المحاذية للإقليم، بل وجرى استثمارها كردياً لتغيير الواقع الديمغرافي لها بهدف ضمها إلى الإقليم، هذا التعاون الكردي – الأميركي –الإسرائيلي، أعطى دفعاً دولياً للقضية الكردية بشموليتها، فالأكراد إلى الآن بنظر الولايات المتحدة ومحورها هم حلفاء موثوقون، وبدلا مما كانت تعدها تركيا موضوعاً داخلياً يتعلق بحقوق الإنسان والحرية ورفض الجماعات العسكرية ومحاربتها، أخذت طابعاً سياسياً أبعاداً دولية، مع أن إسرائيل هي من سهل لتركيا القبض على (عبدالله اوجالن – القائد الكردي المعروف) في كينيا عام1999 ، إلا أن براغماتية الأكراد تسمح بعبور هذا الموقف.

تركيا التي سعت جاهدة للانضمام إلى الاتحاد الأوربي، واجهت ضغوطا من دول الاتحاد، تتمثل بخشيتها من تأثير وترسبات القضية الكردية في خرائط الاتحاد المستقبلية (فوزية صابر، ٢٠٠٥، ص٨٩).

ولم ينحصر القلق التركي من احتمالات قيام دولة كردية مستقلة في شمال العراق فحسب، وإنما من طبيعة الدور الإيراني الذي أخذ يفرض نفسه على الساحة العراقية، وبالشكل الذي أصبح يهدد النفوذ التركي بشكل مباشر، إذ جاءت الأحداث المترتبة على الاحتلال الأمريكي للعراق عام2003 ، لتخدم إيران بالدرجة الأولى، لان طموحها الإقليمي كان يراكم نفوذها في الشرق الأوسط، وقد آخذ هذا الطموح الإيراني طريقه نحو التأثير على النظام العراقي الجديد، كما إن تمدد الأكراد في شمال العراق، أدى دوراً عازلا لنفاذ تركيا إلى داخل العراق، والتفاعل مع التطورات الجارية هناك، ثم جاءت التطورات المصاحبة للأحداث في سوريا، لتعزز من حجم المخاطر التي باتت تشكل تهديداً للامن القومي التركي، وفي ظل محاولة إيران قيادة تحالف إقليمي يشمل بغداد ودمشق وبيروت، بينما لم تكن تركيا تحظا بالقبول من السعودية وغيرها، برغم وجود علاقات جيدة مع العديد من الدول العربية، لاسيما قطر ومصر(قبل نظام الرئيس عبدالفتاح السيسي)، لكن هذه العلاقات لم تكن ترتقي إلى مستوى التحالف الإقليمي.

(عبدعلي كاظم المعموري– مها شكر محمود،.٢٠١٧).

وتركيا قبل عام 2008 ربما لم تكن مؤهلة للخروج نحو الإقليم بهذه الصورة، فهي جزء من منظومة (الناتو) وجزء مركزي من الاستراتيجية الأميركية، إلا أن علائم تراجع الدور الأميركي عالمياً، والتواجد الروسي المتطلع لإحياء دورها في منطقة الشرق الأوسط، وانسداد الأفق الأوربي بإزاء قبولها في الاتحاد الأوربي، فضلا عما يعتري المنطقة برمتها من هشاشة وفوضى.

ومن هذا المنطق لا يمكن لأي حدث في المشهد السياسي العراقي وتطوراته، أن يكون بعيد عن اهتمام تركيا وإيران، ومتابعتهما للتغيرات والموازين ومصالح القوى في العراق، فقد كان لبروز تنافس دولتين في مشروعين متناقضين في الشرق الأوسط، في ظل تراجع هوية المنطقة نتيجة الدور(الأميركي –الإسرائيلي)، والسعي السعودي في تقديم المزيد من التنازلات حتى الدينية منها، لصالح قيادته للدول العربية الذي يمثل(حلم السعودية) منذ عام 1956 أبان حكم جمال عبد الناصر وإلى الآن، وهو ما ترتب عليه التحالف مع الولايات المتحدة وإسرائيل لإخراج الدول العربية الفاعلة واحدة بعد الأخرى(مصر١٩٨٧)– (العراق١٩٨٠)– (سوريا 2010)، وهو ما كان له أثراً في أضعاف المنظومة العربية ومجتمعاتها.

في حين يجمع المهتمين بالشأن الإقليمي، إن تركيا وضعت مزاعم ومسوغات لتبرير سعيها نحو المكانة الكبرى في المنطقة، ومنها: (كرم سعيد، ٢٠١٧، ص٣).

١– ان الأكثرية المذهبية في المنطقة العربية هي ذات لون مذهبي واحد (سني)، وأن الوجود الشيعي يشكل أقلية، وهو ما يعطيها الحق في أن تقود المنطقة.

٢– اعطائها الحق في التدخل بشؤون العراق لحماية التركمان في (كركوك والموصل)، وتعدهما تابعتين لها.

٣– تقدم تركيا نفسها بأنها دولة إقليمية وحليفة للولايات المتحدة وعضو في الناتو، ويمكن لها أن تقود المنطقة لضمان المصالح الغربية بالضد من إيران.

ثالثا: سوريا ... مفتاح المكانة للمتنافسين

بينما تظل سوريا تحتل أهمية جيو استراتيجية على المستويين الإقليمي والعالمي، وتؤدي دوراً في تحديد ميزان القوى في الشرق الأوسط، هو ما شكل عاملا رئيساً في دفع بلدان كثيرة، بجانب تركيا وإيران لمنافسة عميقة للسيطرة عليها، وهي متوزعة ما بين دول عدة :تركيا –قطر –إيران –روسيا –الولايات المتحدة – اسرائيل، وهي تتمتع بأهمية لا تقل شأناً بالنسبة للصين ومشروعها الحزام والطريق، ولهذا فأن الصراع لا يعد مقتصراً على إيران وتركيا، بل أن طبيعة الصراع الأميركي – الروسي والروسي – التركي، أكثر قوة وشراسة من الصراع الإيراني – التركي، فالحسابات المعقدة للموقع السوري في خرائط المستقبل، تضع الروس في مقدمة الدول المستعدة لإبادة كل المنافسين، فمحاولات الخنق الأميركي –الأوربي لروسيا، لن يتوافر له ما يكبحه من دون تواجد قاعدة عسكرية في طرطوس، وتركيا الفقيرة في الطاقة تظل عينها على المياه الإقليمية في سوريا التي تحتوي كميات كبيرة من النفط والغاز.

بينما تصر روسيا على وجودها في سوريا، خشية أن تعمد الولايات المتحدة مع تركيا، على جمع الغاز من مصادر شرق المتوسط (مصر –إسرائيل –سوريا – تركيا) ، وإعادة أحياء خط غازي بديل لخط غاز نبووكو، الذي اجهضته روسيا، ومكمل للخط العربي (غاز قطر) ، لتوفير الغاز إلى أوربا، لإلحاق الضرر بروسيا ودفعها للانكفاء مرة أخرى نحو الداخل.

والظهور الطافي على السطح للصراع التركي –الإيراني، يعد شكل من أشكال الصراع الجيوسياسي في سوريا، في إطار القوى الإقليمية الطامحة للمكانة المؤثرة، ويبدو أن التوازن الهش (القلق) بين الدولتين ينم عن اعتبارات أخرى، منها ما هو طاقوي وآخر استراتيجي ما بين البلدين، ولكل من البلدين طموحاتهما في سوريا، وتتمثل أهمية سوريا لتركيا بالآتي:

أ– يرى عثمانيي حزب العدالة والتنمية أن سوريا تعد مدخلا لتجديد الطموح الإقليمي، وإزاحة التهديدات التي تطال الأمن القومي التركي وبخاصة من طرف الأكراد.

ب– أن سقوط النظام السوري يوفر فرصة للإخوان المسلمين السوريين تسيد الموقف .وإنشاء نظام سياسي صديق في سوريا وبالضد من إيران وروسيا.

أما بالنسبة لإيران أهمية سوريا تتجلى بالآتي:

أ– ضياع سوريا سيؤدي الى تراجع أهمية إيران الجيوسياسية والاستراتيجية في الشرق الأوسط، وأضعاف محور المقاومة

ب– ولعل هذه القيمة الجيوسياسية لسوريا، هي ما تفسر الانغماس الإيراني الواسع في الساحة السورية منذ عام2015.

ت– يشكل الوصول للبحر الأبيض المتوسط، هدف جيوسياسي سعت إيران إلى تحقيقه من اللحظات الأولى للتدخل في سوريا.

رابعا : دور القوة الكبرى في ترجيح المتنافسين

مثلما كانت السعودية تمني نفسها بقيادة العالم الإسلامي لكونها تحتضن الحرمين الشريفين، قبلت العالم الإسلامي، فأن طموحات تركيا لا تتوقف عن الترقية ليس إلى قيادة المنطقة بل قيادة العالم الإسلامي، ليس من بوابة الحفاظ على الوحدة الإسلامية، بل لاستثمار ذلك في المطالبة بحق المسلمين في أن يكون لهم مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي، ويعودون إلى أرثهم العثماني وامبراطوريتهم التي كانت عالمية وهي إمبراطورية إسلامية، لهذا تسعى تركيا خارج حدود المنطقة لتذهب إلى الشيشان واذربيجان والقوقاز وتركمنستان، وصولا حتى إلى نيجيريا لتشكيل كتلة إسلامية كبيرة عابرة للقارات.

وتبني على تشكيل الأمة الإسلامية التي تريد تزعمها بأنها الجديرة بأن تكون القطب الأخر في رؤية هنتنغتون لصراع الحضارات، وتتبنى صراع الحضارة الإسلامية ضد الحضارة الغربية، لتأسيس شرعية ومقبولية وتزييف الوعي للمسلمين في ظل تراجع أدوار بلدانهم، وهي في الوقت نفسه تنتقد وتعارض الرؤية الإيرانية المبنية على ايديولوجيا ثورية معادية للغرب وتستخدم المقاومة بما فيها المسلحة لفك الهيمنة الغربية على الدول الإسلامية (Hurriyet Daily News, 2010) . ومن المنظور الاستراتيجي الإيراني وبعيداً عن المصالح، فأنها تعد تركياً دولة عدوة لها، لكونها عضواً في حلف الناتو وهي الدولة الإسلامية الوحيدة، وتحتضن قواعد أميركية، فهي بالتوصيف الإيراني وكيل متقدم لمصالح الأوربية والأميركية في المنطقة(فراس الياس ,https://bit.ly/2lGdkhq) ، وحتى النمط الإسلامي المعتمد في تركيا يراه الإيرانيون بعيداً عن روح الإسلام الحق، فالسلام الليبرالي على الطريقة الأميركية يشكل في مخرجاته تعسفاً واستغلال، ولعل قطع المياه وتوظيفها سياسياً في السياسة الخارجية التركية، يعد عبوراً على وصف النبي الكريم بقوله(الناس شركاء في الماء والنار والكلاء).

والأتراك عملوا بموازاة الجهد السياسي والعسكري والاقتصادي، على الاهتمام الكبير بالقوة الناعمة (الثقافية والفنية)، وحتى الإنتاج السينمائي والتلفزيوني ظل ينهل من أيديولوجية متكوره حول المجد العثماني، من أجل تنشيط الذاكرة التركية بأيام مجد إمبراطوريتهم العتيدة، التي أضحت في بواكير القرن العشرين (الرجل المريض)، والتي تلاقفت الدول الأوربية ممتلكاتها السابقة.

وبينما تعاني إيران من وقع العقوبات الاقتصادية الأميركية، التي لم يجري تاريخياً فرضها على أي دولة، وانشغالها بجائحة كورونا، وأزمة انهيار أسعار النفط والوضاع الاقتصادية، تعول تركيا شأنها شأن الولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية، على ترك الأزمات التي تمر بها إيران اليوم تحقق أغراضها في أضعاف توجهاتها الإقليمية، بينما توجهت تركيا إلى مسارح أكثر انفتاحاً أمامها، وهي شمال أفريقيا(ليبيا)، في وجود عسكري مؤثر وفاعل، استطاع تغيير موازين القوى لصالح حلفائها، والتعاون مع حركة النهضة(الإخوانية) اللاعب المؤثر في البرمان والحكومة التونسية، واستكملت تواجدها في القرن الأفريقي.

خامسا : مستقبل مشروعات التمدد والهيمنة الإيرانية التركية مابعد كورونا

لكل من الدولتين مشروعاً قائماً تسعى من خلاله تحقيق أهدافها وفق استراتيجيتها الموضوعة بإزاء المنطقة وما يكتنفها من تحولات، وهما:

الأول : محور المقاومة :تقوده إيران إلى جانب سوريا وباقي فصائل محور المقاومة الإسلامية في العراق وفلسطين ولبنان واليمن وسوريا.

الثاني : المشروع الاخواني :الذي تقوده تركيا وقطر وتونس والتنظيم الدولي للإخوان المسلمين.

وكلاهما يصطدمان بالمشروع السعودي – الإماراتي – الأميركي – الإسرائيلي، الذي عمل على استعداء إيران وجعلها العدو الأول للجميع في المنطقة، وربما سيتم ترقية تركيا للموقع ذاته، في ظل الأوضاع في ليبيا وتراجع قوات حفتر المسنودة من السعودية ومصر والأمارات.

بيد أن المشروع الاخواني من الوجهة الاستراتيجية الإيرانية، أكثر خطراً على توجهاتها، بسبب من توافر البيئة المجتمعية لقبول أنشطته .سواء في سوريا– الأردن – مصر ودول الخليج.

الخاتمة:

بالرغم من فصل العلاقات الاقتصادية عن السياسية، لأسباب تتعلق بالمصالح العامة أو لشرائح رأسمالية مؤثرة في إيران وتركيا على حد سواء .إلا أن كلا الدولتين مجبرتين على استدامة التعاون، بسبب من مشتركات بعض التحديات ومنها القضية الكردية التي تهمهما معاً، ولا يمكن لأي من الدولتين المساهمة في اسقاط النظام الأخر، لعدم مضمونية مجيء نظام يعتمد الرؤية ذاتها، إزاء مصادر التهديد المشتركة، وهذا هو منطق الواقعية السياسية.

كما أن البلدين يشركان معاً في عداء السعودية والأمارات ومصر لهما، كما إن الهشاشة في الأوضاع الإقليمية، والتواجد للقوى الدولية في المنطقة، لا تعطي الفرصة لأي طرف من أطراف الصراع والتنافس، في أن يذهب بعيداً في توجهاته، وبين الفينة والأخرى تجري عملية فرملة بقصد تخفيف التنافس الإقليمي.

ومن ثم فإن أي تغيير تصاعدي لدور الولايات المتحدة في المنطقة، يعد مضراً بالتوجهات الإيرانية وكسباً للتوجه التركي، لكونه يضعف ويحد من القطب المنافس له.

المصادر :

١- عمرو سليم، العلاقات التركية الإيرانية من تحالف مصالح الى صراع إقليمي، شبكة نبأ المعلوماتية، فيش 11ديسمبر 2019. (تاريخ الدخول 26 :مايو 2020(.https://bit.ly/3goZCYm)

٢- فوزية صابر، قراءة جيو- سياسية للبعد الكردي في العلاقات بين العراق وتركيا، مجلة أراء حول الخليج، العدد (٧) دبي، مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٥، ص ..٨٩

٣- عبد علي كاظم المعموري –مها شكر محمود، إيران والسعودية: صراع النفوذ والمكانة، دار روافد، بيروت، .٢٠١٧

٤- كرم سعيد، التقاطع التركي –الإيراني في العراق، مجلة السياسة الدولية، في 5نوفمبر 2017، ص 3. (تاريخ الدخول 8 : حزيران 2020(.https://bit.ly/3gzClg)

٥- فراس الياس، فرضية العدو في العقيدة العسكرية الإيرانية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، في 12أبريل (2018. تاريخ الدخول 24 : مايو 2020 .https://bit.ly/2lGdkhq).

6- Firas Elias, Iran’s High Strategic Value for Turkey, The Washington Institute for Near East Policy, 17 July 2019. p 1. https://bit.ly/2ZGOfoC (Entry of Date: 26 May 2020).

7- Hurriyet Daily News, Why Turkey Will Emerge as the Leader of the Muslim World, Polıcy Analysıs, Artıcles & Op-Eds, The Washington Institute for Near East Policy, Nov 2010.

8- Congressional Research Service, Turkey: Background and U.S. Relations In Brief, R44000, August 14, 2019.

9- Gamal M. Selim, “The United States and the Arab Spring: The Dynamics of Political Engineering,” Arab Studies Quarterly, Vol. 35, No. 3, 2013.

10- - Hamidreza Azizi and Salim Çevik, Turkish and Iranian Involvement in Iraq and Syria: Competing Strategies, Rising Threat Perceptions, and Potentials for Conflict, SWP Comment 2022/C 58, Berlin: Stiftung Wissenschaft und Politik, 2021.

11- - Kaya Akyıldız, “The Affirmation of Sunni Supremacism in Erdoğan’s ‘New Turkey’,” in Pierre Hecker, Ivo Furman & Kaya Akyıldız (eds.), The Politics of Culture in Contemporary Turkey, Edinburgh University Press, 2022.

12- -Zbigniew Brzezinski, The Grand Chessboard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives, New York: Basic Books, 1997.

13- M. Hakan Yavuz, Nostalgia for the Empire: The Politics of Neo-Ottomanism, Oxford University Press, 2020.